الفصل الأول

الخلفية الجغرافية والسكانية والسياسية لحضرموت حتى عام ١٩١٨م

أولاً: الخلفية الجغرافية والسكانية

التسمية:

تعددت الاجتهادات حول تسمية حضرموت ففي التوراة ذكر اسم حضرموت لشخص هو " هزرمافيت " أو حضرموت بن يقطان.(١) أما المعنى اللغوي لحضرموت فهو دار الموت(٢)، وورد اسم حضرموت في الكتابات العربية الجنوبية، كما عثر على كتابات حضرمية بالخط المسند، وورد فيها أسماء عدد من ملوك حضرموت، وأسر ومدن حضرمية(٣). ويقال إن اسم حضرموت الحقيقي هو وادي الأحقاف(٤)، وهي التسمية التي أطلقها عليها القرآن الكريم ﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ﴾ (٥).

أما في كتابات الهمداني فإن حضرموت هي الجزء الأصغر من اليمن، وأنها نسبت إلى حضرموت بن حمير الأصغر فغلب عليها اسم ساكنها(٦). ويرى البعض أن أصل كلمة حضرموت متصلة بنبي الله هود عليه السلام، فقد كانت "حضر الموت" آخر كلماته عندما وصل نهاية رحلة عمره، ولم يستجب قوم عاد لدعوته، لذلك سميت حضرموت بهذا الاسم(٧).

---

(١) محمد عبدالقادر بامطرف. الشهداء السبعة. دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٤م. ص ١٠.

(٢) إبراهيم أحمد المقحفي. معجم المدن والقبائل اليمنية. منشورات دار الكلمة، صنعاء، ١٩٨٥م. ص١٢٢/٣).

(٣) جواد علي. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. الجزء الثاني، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٧م ص٣٠.

(٤) سقاف علي الكاف. حضرموت عبر أربعة عشر قرنًا. مكتبة أسامة. بيروت ١٩٩٠م. ص٩.

(٥) سورة الأحقاف الآية (٤٦).

(٦) الهمداني، أبومحمد الحسن بن أحمد. صفة جزيرة العرب. الجزء الأول، مطبعة بريل، ليدن ١٨٨٤م. ص٨٥.

(٧) vander Meulen and H. von wissman: Hadramout: some aspects of mysteries unveiled. Leyden, 1944. p. 34.

ونحن لا نستطيع أن نركن إلى أحد هذه الآراء طالما لا تعتمد على الدليل العلمي، وسيظل معرفة السبب الحقيقي للتسمية مرهونًا بالحصول على الدليل الأثري الذي لا يقبل الشك.

الموقع والتقسيم الجغرافي:

تقع حضرموت على ساحل البحر العربي شرقي عدن، والمناطق الجنوبية من اليمن بين خطي طول **٤٧، ٥٣** شرقًا، وخطي عرض **١٥، ١٩** شمالاً[١]. وتنقسم حضرموت جغرافيًا على ثلاث مناطق.

يقع القسم الأول وهو الداخلي الذي يعرف بوادي حضرموت، جنوبي الربع الخالي[٢]، ويعد وادي حضرموت من أكبر وديان اليمن، إذ يبلغ طوله مائتي ميل، وعرضه يتراوح ما بين **٣، ١٠** أميال[٣]، وترفده عدة أودية فرعية، والزراعة في هذا الجزء أساس الإنتاج، وتعتمد بدرجة رئيسة على السيول التي تسببها الأمطار غير الدائمة، وعلى المياه الجوفية[٤]، وكان وادي حضرموت يمتاز بالكثافة السكانية، ولكن نتيجة تكرار فصول الجفاف، واستخدام الأساليب القديمة في الزراعة، والصراعات القبلية المستمرة؛ انتقل عدد كبير من سكان بطن الوادي إلى الجهات الساحلية ومنها في الغالب إلى الهجرات الخارجية.[٥]

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية. المجلد الخامس عشر. ص١٢٩.

(٢) سقاف علي الكاف. المرجع السابق. ص١٨.

(٣) جعفر محمد السقاف. المناخ وجغرافية وادي حضرموت. مجلة التراث، العدد الخامس، إبريل/ يونيو السنة السادسة عشرة، عدن، ١٩٩٢م. ص١٩.

(٤) سالم عمر الخضر. الطابع الاقتصادى العفوي والانتفاضات القبلية في حضرموت (١٩٤٨- ١٩٦١م)، الندوة العلمية التاريخية حول المقاومة الشعبية في حضرموت (١٩٠٠- ١٩٦٣م) كلية التربية المكلا، مطبعة جامعة عدن، ص٩٨.

(٥) محمد عبدالله بن ثعلب. توزيع السكان في حضرموت. بحث مقدم إلى الندوة العلمية. بعنوان: التركيب الجغرافي والأهمية الاقتصادية لمحافظة حضرموت. كلية التربية العليا، المكلا، ١٩٨٧م. ص ٨.

ويمثل السهل الساحلي القسم الجغرافي الثاني لحضرموت، ويمتد من عين بامعبد غربًا إلى سيحوت شرقًا، وهو عبارة عن شكل غير منتظم، وتقدر مساحته بنحو (٤٥٠٠) كيلومترًا مربعًا، ويمتد في الداخل إلى مسافة (٨٠) كيلو مترًا من رأس الكلب، و(٢٠) مترًا من المناطق الشرقية.[١] وهو أيضًا عبارة عن منطقة صخرية، ورملية كثيرة الجفاف تكثر فيها المياه الجوفية، والواحات حيث يوجد خليط من المزروعات الهندية والإفريقية.[٢] ويشتهر هذا القسم بكثرة الينابيع والعيون ومن أهمها، عيون وادي حجر[٣]، وعيون مدينة غيل باوزير، وعيون منطقة تباله، ومدينة الحامي شرقي مدينة الشحر.[٤]

ويعتمد سكان السهل الساحلي في اقتصادهم بدرجة أساسية على صيد الأسماك، أما الزراعة فتأتي في المرتبة الثانية.

أدرك قاطنو مدن هذا السهل الساحلي أهمية موقع بلادهم المطل على المحيط الهندي، الذي يعد شريان الملاحة بين الشرق والغرب عبر العصور، فاتجهوا نحو البحر ومارسوا النشاط البحري، واشتغلوا بالتجارة.

وتكوّن المنطقة الجبلية القسم الجغرافي الثالث، وتمتد من جنوب وادي المسيلة جنوبًا، ويحدها من الشرق محافظة المهرة، ومن الغرب المناطق الجنوبية الشرقية لمحافظة شبوه[٥]، وتتمثل في الجبال الساحلية، وهضبتي حضرموت الجنوبية والشمالية.

---

(١) صلاح البكري. تاريخ حضرموت السياسي. الجزء الأول، مطبعة مصطفى البابي، القاهرة، ١٩٣٦م. ص ٢.

(٢) محمد عمر الحبشي. اليمن الجنوبي سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا. دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٨م. ص ١٦٣.

(٣) يصب وادي أو نهير حجر بالقرب من رأس الكلب، طوله مائتا كيلومترًا تقريبًا، وعرضه من ١٥ إلى ١٠ أمتار، وعمقه من ٥ إلى ٢٥ سم.

(٤) سقاف علي الكاف. المرجع السابق، ص١٦.

(٥) محمد أحمد الشاطري. أدوار التاريخ الحضرمي. الجزء الأول، الطبعة الثالثة، مطبعة عالم المعرفة، جدة، ١٩٨٣م. ص٥٦.

المناخ:

يختلف مناخ اليمن باختلاف نواحيه، فأقاليم السهل الساحلي المطلة على البحر الأحمر والبحر العربي تمتاز بحرارتها الشديدة،[١] أما مناطق الجبال المرتفعة فهي معتدلة الجو في جميع فصول السنة، وكلما ارتفعنا عن سطح البحر اعتدلت حرارة الجو[٢]. تندرج حضرموت ضمن مناطق المناخ المداري الذي يسود إقليم جنوبي غرب شبه الجزيرة العربية، مع بعض الخصائص المحلية في بعض المناطق الساحلية، والداخلية، تتجاوز الحرارة في الصيف ٤٠° مئوية في المناطق الداخلية، بينما لا تتجاوز درجات الحرارة ٣٦° مئوية في المناطق الساحلية، ويعود ذلك إلى هبوب الرياح الموسمية الصيفية، الجنوبية الغربية المشبعة بالرطوبة التي تصل في حدها الأعلى أكثر من ٩٠٪ وفي حدها الأدنى ٥٠٪ في المناطق الداخلية[٣].

تكثر الأمطار في المناطق الداخلية، وفي فصلي الصيف والخريف، بينما تقل كميتها كثيرًا في المناطق الساحلية، لأن شواطئها توازي الرياح الموسمية (الجنوبية الغربية) في هبوبها[٤].

السكان:

لا يوجد إحصاء رسمي لعدد السكان خلال فترة الدراسة، إذ لا توجد سجلات للأحوال المدنية، ولم يتم تعداد للسكان في العواصم، والمدن حيث مراكز الحكم والإدارة، لذلك سوف نعتمد على ما ورد من تقديرات، فيقدر

(١) عبدالله أحمد الثور. هذه هي اليمن. مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٦٩م. ص٢٥.
(٢) محمد بن علي الأكوع الحوالي. اليمن الخضراء مهد الحضارة. الطبعة الثانية، مكتبة الجيل الجديد، ١٩٨٢. ص٥٦.
(٣) الدليل التعريفي لمحافظة حضرموت. المكلا، ١٩٩٥م. ص ١٨.
(٤) محمد أحمد الشاطري. المرجع السابق، الجزء الأول. ص ١٩. / عبدالله أحمد الثور. المرجع السابق. ص٢٥.

البعض سكان حضرموت بثلاثمائة وخمسين ألفًا[١].

وعلى الرغم من أن منطقة حضرموت أكبر مساحة في جنوب اليمن إلا أنها أقل سكانًا، ويعود ذلك إلى الجفاف، والصراعات السياسية، والقبلية المستمرة - كما ذكرنا - والأوضاع الصحية المتردية.

وهناك حاجز طبيعي بين القسمين الداخلي، والساحلي بالنسبة للتجمعات السكانية، يتمثل بالهضبة الجنوبية الخالية من السكان، مما أدّى إلى تباين واضح وغير متجانس، من حيث ظروف البيئة الطبيعية والبشرية في كل منهما[٢].

تغلب على الحضارم السمرة ما بين خفيفة وشديدة، وقد اختلطت دماء بعضهم بدماء إندونيسية في مدن وقرى الداخل، وبدماء إفريقية في الساحل، وقد نشأ هذا نتيجة هجرة الحضارم إلى البلاد الأخرى وزواجهم من أهلها[٣].

أهم المدن:

من المدن الساحلية: المكلا، والشحر، وغيل باوزير، وشحير، والحامي، وبروم، وميفع، وقصيعر، وأهمها مدينتا المكلا، والشحر، فالمكلا عاصمة السلطنة القعيطية منذ عام **١٩١٠**م، وميناؤها الأول، وهي تبعد عن عدن بنحو **٢٣٠**ميلاً[٤]، ويقترب عدد سكانها من العشرين ألف نسمة عام **١٩٣١**م[٥] وبسبب التحصين الجيد لها إلى جانب قربها من مصادر المياه الجوفية العذبة في مناطق البقرين، والغليلة، وسقم، التي لا تبتعد عنها بأكثر من (**٣**) كيلو مترًا كل

(١) صلاح البكري. المرجع السابق. ص١٤.
(٢) محمد عبدالله بن ثعلب. المرجع السابق. ص ٨-٩.
(٣) محمد أحمد الشاطري. المرجع السابق. ص ٢٢.
(٤) صلاح البكري. المرجع السابق. الجزء الثاني. ص ١٣٨.
(٥) محمد بن هاشم. رحلة إلى الثغرين الشحر والمكلا. مطبعة حجازي، القاهرة، ١٩٣١م. ص٥١.

ذلك شجع الاستيطان فيها من سكان المناطق المجاورة[١].

أما مدينة الشحر فهي تلي المكلا من حيث الأهمية، وكانت ثغرًا تجاريًا مهمًا تتنافس على امتلاكه القوى السياسية في اليمن، وأصبحت من ضمن أملاك الحكومة القعيطية بعد سيطرتهم عليها عام ١٨٦٧م[٢].

ومن أهم مدن وادي حضرموت: سيئون، وتريم، وشبام، وحريضة، والغرفة، وعينات، وحوطة أحمد بن زين.

تعد سيئون أهم مدينة في وادي حضرموت، فهي عاصمة السلطنة الكثيرية، يبلغ عدد سكانها خمسة وعشرين ألف نسمة عام ١٩٣٦م[٣]، وهي تبعد عن المكلا بحوالى ٣٣٠ كيلومترًا. أما تريم فهي العاصمة الثانية للسلطنة الكثيرية، واشتهرت هذه المدينة بالحركة الدينية والأدبية، وكانت تعد مصدرًا من مصادر الإشعاع الديني في جنوبي شبه الجزيرة العربية.[٤]

ومن المدن الأخرى المهمة في داخل حضرموت مدينة شبام التي تكتسب أهمية اقتصادية خاصة نتيجة لموقعها المتوسط لملتقى طرق القوافل التجارية.

❁❁❁❁❁

(١) عبدالله سعيد باحاج. موانىء اليمن وخليج عدن دراسة جغرافية. رسالة ماجستير، تونس، ١٩٨٢م. ص ٢١٨.
(٢) محمد عبدالكريم عكاشة. قيام السلطنة القعيطية والتغلغل الاستعماري في حضرموت (١٨٣٩-١٩١٨م). دار ابن رشد، عمان، ١٩٨٥م. ص٨٥.
(٣) صلاح البكري. المرجع السابق. الجزء الثاني. ص ١٥٥.
(٤) عمر الخالدي. عرب حضرموت في حيدر أباد. ترجمة. جمال محمود حامد. مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، عدد (٤٥)، السنة الثانية عشرة. ص١٣٥.

ثانيًا: الصراع السياسي في حضرموت وقيام السلطنتين القعيطية والكثيرية (١٨٥٠ - ١٩١٨م)

القوى اليافعية في حضرموت:

تقع منطقة يافع بين خطي ٤٥ - ٤٦ من خطوط الطول، وبين خطي ١٣ - ١٤ من خطوط العرض، ومعظم منطقة يافع جبلية[١]. وقبيلة يافع من أمنع قبائل اليمن، وقد اكتسبوا صفات الجلافة وقوة الشكيمة من وعورة منطقتهم الجبلية التي تعد عاملاً من عوامل الطرد للسكان.

وتعود البدايات الأولى للاستيطان اليافعي في حضرموت إلى عهد السلطان الكثيري بدر أبي طويرق[٢]، الذي دخل منذ توليه الحكم في صراع سياسي، وعسكري طويل، ومتعدد الجبهات، ولذلك توجه إلى شمال اليمن في شهر ذي الحجة سنة ٩٢٥هـ، وطلب من الإمام أن يمده بجيش ليساعده في صراعاته العسكرية داخل حضرموت، وبعد الأخذ والرد وقع الاختيار على انتخاب خمسة آلاف رجل من يافع توجه بهم إلى حضرموت[٣].

وبعد وفاة أبي طويرق انقسم آل كثير على أنفسهم، ودخلوا في صراع، وتطاحنوا على السلطة حتى استنجد بعضهم بالإمام الزيدي في صنعاء[٤].

وفي سنة ١٠٧٣ هـ / ١٦٦٢م تولى السلطنة الكثيرية محمد المردوف بتأييد من الإمام المتوكل إسماعيل، وعلى الرغم من الوجود الاسمي لسلطة الإمام في

---

(١) حسين بن علي الويسي. اليمن الكبرى. مطبعة النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٢م. ص١٣.

(٢) بدر بو طويرق: من أشهر سلاطين الدولة الكثيرية، ولد سنة ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م: وتوفي سنة ٩٧٧هـ/ ١٥٦٩م.

(٣) محمد بن علي باحنان. جواهر تاريخ الأحقاف. الجزء الثاني، مطبعة الفجالة الجديدة، مصر، ١٩٦٢م. ص ١٨٤. (وهذه رواية لنا تحفظ عليها).

(٤) محمد عبدالكريم عكاشة. المرجع السابق. ص ٣٤.

حضرموت إلا أن البعض حاول الاستفادة من هذا الوجود لكي يحقق أهدافًا شخصية سواء كان عن طريق التأييد له أو رفضه.

وفي عهد السلطان بدر بن محمد المردوف انحاز إلى فريق المعارضين للوجود الإمامي، وكذلك انضم إليه يافع التلد[١]، وأمام ضعفه العسكري وتعزيزًا لقوته استقدم ستة آلاف من جبل يافع[٢].

وفي تقديرنا أن هذا الاندفاع اليافعي للعمل العسكري في حضرموت، يعد من أكبر الهجرات الداخلية في اليمن في العصر الحديث.

وأمام استمرار الصراعات، والانقسامات المستعصية في صفوف الكثيريين، اختفت الدولة الكثيرية الأولى، وأصبحت حضرموت في يد عشائر يافع الذين كوّنوا لهم سلطات متعددة في حضرموت، وبهذا حصلوا على قدم راسخة فيها[٣].

ومن أشهر حكومات الطوائف اليافعية، الإمارة الكسادية في المكلا، التي نشأت عام ١١١٥هـ/ ١٧٠٣م، والإمارة البريكية في الشحر نشأت عام ١١٦٥هـ/ ١٧٥١م[٤].

الجهود القعيطية الأولى في إقامة إمارة لهم:

القعيطيون بطن من يافع، نزحوا من جبل يافع إلى حضرموت، ضمن بطون القبائل اليافعية التي استقدم طلائعها - كما ذكرنا - السلطان بدر بن محمد المردوف، واستوطن آل القعيطي منطقة لحروم بوادي عمد[٥]، ويعود سر بروز هذه

---

(١) يافع التلد: أي المولودون في حضرموت ويقابلها يافع الغربة، وهي تحريف محلي لكلمة الغرباء ويقصد بهم القادمين الجدد من جبل يافع.

(٢) محمد عبدالقادر بامطرف. في سبيل الحكم. الطبعة الثانية، دار الهمداني، عدن، ١٩٨٣م، ص ١٣.

(٣) محمد علي باحنان. المرجع السابق. ص ٢١٤.

(٤) محمد عبدالقادر بامطرف. في سبيل الحكم. ص ١٣.

(٥) محمد أحمد الشاطري، المرجع السابق. الجزء الثاني. ص ٤٠٤.

العائلة وتفوقها إلى النجاح الذي أحرزوه في الخارج خاصة في الهند، عندما وصل أحد أعمدة هذه الأسرة، وهو عمر بن عوض القعيطي إلى رتبة الجمعدار[١]، وتمكن من جمع ثروة طائلة، قام بتوظيفها لإقامة الدولة القعيطية في حضرموت[٢].

ومعلوم أن السمة البارزة في تاريخ حضرموت هي هجرة أهاليها الواسعة إلى الهند، وجزر الهند الشرقية، والسواحل الإفريقية. وفي منتصف القرن التاسع عشر أصبحت أعدادٌ كبيرة من المهاجرين توجد في حيدر أباد في الهند[٣]. وقد اشتهر في الجيش العربي في حيدر أباد ثلاث شخصيات عربية تنازعت السلطة والبروز وهم:

- عمر بن عوض القعيطي، وكانت رتبته العسكرية شمشير الملك.
- عبدالله بن علي العولقي[٤] رتبته سيف الدولة.
- غالب بن محسن الكثيري، رتبته غالب الدولة.

وكان كل واحد من هؤلاء الثلاثة يحلم بالملك ويسعى سعيًا حثيثًا لإنشاء دولة له في حضرموت[٥].

---

(١) الجمعدار: كلمة أوردية تتألف من مقطعين الكلمة العربية (جمع)، والكلمة الفارسية (دار)، بمعنى صاحب، أو قائد، وكانت أهمية الجمعدار تنبع من عدد الجنود الذين يأتمرون بأمره، انظر عمر الخالدي. المرجع السابق. ص ١٦٢.

(٢) محمد عبدالكريم عكاشة. المرجع السابق. ص ٥٩.

(٣) آر. بي جافين. عدن تحت الحكم البريطاني (١٨٣٩ - ١٩٦٧م) ترجمة واختصار. سلطان ناجي. مجلة التراث، العدد الأول، السنة الأولى، ١٩٧٧م. ص ٣٥-٣٦.

(٤) عمل عبدالله بن علي العولقي على استغلال الثروة التي جمعها في حيدر أباد، من أجل زيادة ممتلكاته في موطنه بجنوب اليمن، ولجأ إلى أسلوب زميليه غالب الكثيري، وعمر القعيطي، من شراء المدن، والقرى، واتخاذها قواعد لتأسيس الدولة المأمولة، ولكنه لم يتمكن من ذلك. وتوفي عام ١٢٨٥هـ / ١٨٦٨م.

(٥) محمد عبدالقادر بامطرف. المختصر في تاريخ حضرموت العام. مطبوع بالإستنسل. ص٣٤-٣٥.

وكانت أولى خطوات القعيطيين التكتيكية الاستراتيجية، هي شراؤهم لمدينة الريضة (القطن) من آل العيدروس، وذلك في عام **١٢٥٥**هـ / **١٨٣٩**م، وعدت هذه الخطوة البداية التاريخية، وقاعدة الانطلاق لإرساء الدولة القعيطية بحضرموت[١].

وقد امتازت الخطوات الأولية القعيطية بالهدوء والحكمة، فمن جهة ازدادت عملية شرائهم للقرى والحصون، ومن جهة ثانية كان تحركهم في الإطار الدفاعي.

ونعتقد أن الأوضاع السياسية غير المستقرة في حضرموت، إلى جانب توفر المال اللازم بيد القعيطيين، كل ذلك ساعدهم في الإدلاء بدلوهم في معمعان الصراع السياسي في حضرموت منذ منتصف القرن التاسع عشر.

تأسيس الدولة الكثيرية الثانية:

يمكن أن نحدد بدايات الوجود الكثيري على الساحة السياسية في حضرموت منذ الربع الأخير من القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي، عندما شهدت حضرموت صراعات قوى سياسية متعددة داخلية وخارجية، حاولت السيطرة عليها[٢]، ففي هذه الفترة التي ضربت الفوضى أطنابها في حضرموت، ظهر سالم بن إدريس الحبوضي، أمير ظفار ليدلي بدلوه، مستفيدًا من هذا الصراع، فقد كان يطمحُ إلى السيطرة وتوسيع مملكته، فاشترى مدينة شبام سنة **٦٧٣**هـ، وجعلها مركزًا لنفوذه في حضرموت[٣]، وانتهز آل كثير هذه الفرصة وقاموا معه ووالوه، وتولوا إدارة شئونه العسكرية، وأنابوا عنه في قرى حضرموت[٤].

---

(١) سعيد عوض باوزير. صفحات من التاريخ الحضرمي. المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٧٨هـ. ص ٢١٦-٢١٧.
(٢) محمد عبدالكريم عكاشة. المرجع السابق. ص ٣٠.
(٣) محمد بن هاشم. تاريخ الدولة الكثيرية. الجزء الأول، ١٩٤٨م. ص ٩-١٠.
(٤) سعيد عوض باوزير. المرجع السابق. ص ٩٠-٩١.

وبعد وفاة الحبوضي سنة ٦٧٨هـ، نشطت المحاولات الكثيرية لإقامة الدولة، ولكن محاولاتهم الأولية اصطدمت بأطماع القوى المتنافسة الأخرى مثل آل رسول، وآل يماني، وآل راصع[١].

ويعد علي بن عمر بن جعفر الكثيري، أول رئيس يحول القبيلة إلى دولة منظمة، وأول من نودي به سلطانًا من آل كثير، وكان ذلك سنة ١٤١١م[٢].

ومن السلاطين الكثيريين الذين استطاعوا السيطرة على معظم منطقة حضرموت، هو السلطان بدر بو طويرق، الذي ضرب باسمه نقودًا فضية ونحاسية[٣].

وفي عهده أصبحت حضرموت تابعة للدولة العثمانية، وبعد خروج العثمانيين الأول من اليمن دخلت حضرموت مع بقية مناطق اليمن ضمن السلطة المركزية في صنعاء، وفي أواخر القرن السابع عشر الميلادي، ونتيجة لضعف وتدهور السلطة المركزية في صنعاء، عادت حضرموت تحت الحكم الكثيري فترة وجيزة، ثم تفتت السلطة المركزية ذاتها، فتقسمت حضرموت منذ نحو ١٧٣٠م إلى وحدات صغيرة متشتتة موزعة بين الاتحادات القبيلة، أو حكام المدن، أو المقاطعات من الكثيريين، وحلفائهم من السادة، أو عائلات يافعية[٤]. واستمرت تلك الحال حتى مجيء آل القعيطي، وغالب بن محسن الكثيري، من المهجر نحو منتصف القرن التاسع عشر، لتبدأ حلقة جديدة من حلقات الصراع السياسي في حضرموت.

ارتبطت المحاولات الكثيرية لإحياء الدولة الكثيرية، بالجهود التي بذلها السلطان غالب بن محسن الكثيري، وهو من أحفاد السلطان عبدالله بن عمر بن

(١) صلاح البكري. في جنوب الجزيرة العربية. مطبعة مصطفى البابي، القاهرة، ١٩٤٩م. ص ١١٤وما بعدها.
(٢) محمد عبدالكريم عكاشة. المرجع السابق. ص ٣١.
(٣) محمد علي باحنان. المرجع السابق. الجزء الثاني. ص ١٨٦.
(٤) جافين. المرجع السابق. ص ٣٦.

بدر أبي طويرق[١]، وقد سافر إلى الهند سنة ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م. وهناك التحق بالجيش النظامي بحيدر أباد، حيث علا شأنه، وجمع ثروة طائلة جعلته يفكر في بعث الدولة الكثيرية[٢].

وقد اعتمد غالب بن محسن الكثيري على ثروته، وعلى دعم العلويين[٣] المعنوي له في حضرموت[٤]، وبدأ خطواته المهمة بشرائه قرية الغرف سنة ١٢٦١هـ/ ١٨٤٥م، لتكون نواة الدولة، ومركزًا لنشاطه السياسي، ثم اشترى حصن ابن مطهر بالقرب من تريم[٥]، واستطاع عام ١٨٤٦م القضاء على السلطة الطائفية اليافعية القائمة حينئذ في تريم، وفي سنتي ١٨٤٧م/ ١٨٤٨م استولى على سيئون، ثم على تريس، بعد أن طرد حكامها اليافعيين[٦].

وبهذه الانتصارات الكبيرة التي حققها غالب بن محسن الكثيري، جعل لنفسه قدمًا راسخة في حضرموت الداخل، في الوقت الذي تبعثرت فيه صفوف اليافعية، ولكن لفترة وجيزة، إذ سرعان ما اشتد الصراع اليافعي الكثيري محدِثًا تغيرات مهمة في الخارطة السياسية لحضرموت.

الصراع السياسي في حضرموت في العقد السادس من القرن التاسع عشر:

شهدت حضرموت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر صراعًا على

---

(١) محمد علي باحنان. المرجع السابق. ص ٣٦.

(٢) سعيد عوض باوزير. المرجع السابق. ص ٢٢٦.

(٣) يطلق على سادة حضرموت العلويين أو آل باعلوي، وذلك نسبة إلى أحد أجدادهم الجامع لهم وهو: علوي بن عبدالله بن أحمد المهاجر بن عيسى بن محمد بن علي العريضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي ابن أبي طالب، وابن فاطمة ابنة الرسول ﷺ. انظر محمد بن أبي بكر الشلي. المشرع الروي في مناقب السادة آل باعلوي. الجزء الأول. ص ١١٥.

(٤) محمد عبدالكريم عكاشة. المرجع السابق. ص ٥٣.

(٥) سعيد عوض باوزير. معالم تاريخ الجزيرة العربية. دار الكتاب العربي، مصر، ١٩٥٤م. ص ٢٦٩.

(٦) محمد عبدالقادر بامطرف. في سبيل الحكم. ص ١٤.

السلطة بين القوى الأسرية فيها، ولم يكن هذا الصراع سياسيًا فحسب، بل كان استخدام السلاح، والاقتتال الداخلي أحد مظاهره. وابتداءً من العقد السادس من ذلك القرن تقاسمت الصراع على السلطة والنفوذ القوى الآتية:-

- منصور بن عمر الكثيري في شبام " آل عيسى بن بدر ".
- القعيطيون ومركزهم القطن.
- غالب بن محسن الكثيري في تريم وسيئون " آل عبدالله "[(١)].

أما منصور بن عمر الكثيري، فكانت نهايته على يد القعيطيين، الذين ركزوا جهودهم في القضاء عليه في شبام، لجعلها خطًا دفاعيًا أوليًا، وانتقامًا لما قام به السلطان منصور من غدر بيافع في شبام، ودار معمر بالقطن[(٢)]، فقد أخذ القعيطيون في تضييق الخناق على شبام مما دفع السلطان منصور إلى الموافقة على وساطة آل العيدروس، لإنهاء الخلاف على أساس بيع نصف شبام للقعيطي، واحتفاظه بالنصف الآخر، وذلك في سنة ١٨٦٠م[(٣)].

ولم يكن هذا الاتفاق هو نهاية الصراع، بل عمل كل من عوض بن عمر

---

(١) كنّوا سلاطين الدولة الكثيرية الثانية بآل عبدالله نسبة لجدهم بدر بن عبدالله بن عمر الكثيري، وذلك تمييزًا لهم عن بقية الأفرع الكثيرية، وقد أطلقنا في أثناء الدراسة تلك التسمية للتعريف بدولتهم.

(٢) حول ما قام به السلطان منصور الكثيري من بطش بيافع كتب المؤرخ محمد بن هاشم مايلي: «ولم يزل منصور بن عمر يناصب يافعًا العداء مرة، ويسالمهم مرة أخرى، حتى سولت له نفسه الخيانة فيهم، فبطش بهم في نفس شبام بطشة قوية، قتل فيها من رجالهم، وعيونهم عددًا غير قليل، وطرد بقيتهم من البلاد سنة ١٨٤٩م..... وأسرف السلطان منصور إسرافًا كبيرًا في التحكك بيافع، والاسترسال في السفه حتى عثر عثرته الشهيرة تلك هي فعلته بدار معمر. وذلك أن منصورًا أمر عبيده فسروا ليلاً إلى القطن، وأخذوا يحفرون تحت دار معمر على حين غفلة من أهله، ووضعوا في الحفرة دبة من البارود، ثم اشعلوا فيها، فانفجرت الدبة، وانهار البيت على من فيه».. محمد بن هاشم. تاريخ الدولة الكثيرية، ص ١٦٦ وما بعدها.

(٣) محمد عبدالكريم عكاشة. المرجع السابق. ص ٦٤.

القعيطي[١]، ومنصور الكثيري، على كسب الوقت، وشرع كل من (الصديقين) يفكر ويتحين الفرصة للقضاء على الآخر، حتى تمكن عوض بن عمر القعيطي من الغدر بمنصور وقتله، وذلك في عام الاتفاقية نفسه ١٨٦٠م[٢].

وهكذا تحولت يافع من الدفاع إلى الهجوم، وأصبحت تلك المدينة القديمة الخط الأمامي لليافعيين في وجه التحديات الكثيرية.

وفي أثناء هذا الصراع بين عوض القعيطي، ومنصور الكثيري، لم يقف السلطان غالب بن محسن الكثيري موقفًا حاسمًا إلى جانب قريبه الكثيري، ويرى الدارس أن سبب ذلك الموقف المتردد يعود إلى تذبذب مواقف السلطان منصور، وممارساته الخاطئة، التي خلقت له أكثر من جبهة معادية، إضافة إلى ذلك لم تكن نظرة غالب بن محسن الكثيري له نظرة أسرية عاطفية، بل كان يعده أحد المعوقات في إقامة دولته في حضرموت.

وبالقضاء على منصور بن عمر الكثيري، تقاسم الصراع على السلطة والبقاء في حضرموت الداخل، الكثيريون بقيادة غالب بن محسن الكثيري، والقعيطيون بقيادة أبناء الجمعدار عمر بن عوض القعيطي. وفي رأينا أن توازن القوى بين الجانبين أجل إلى حين الحرب الشاملة بينهما في داخل حضرموت، وامتدت أنظارهم إلى ساحلها لما تمثله السيطرة على المنافذ البحرية من أهمية استراتيجية، وتعزيزًا لدولهم المأمولة، وتحقيق الاتصال بالعالم الخارجي.

لقد تداخلت عناصر وأطراف الصراع السياسي في ساحل حضرموت، من كثيري - يافعي، إلى يافعي - يافعي، فضلاً عن الصراع العشائري التقليدي المحلي، وتتغير مواقف، وتكتيكات كل جهة وفقًا لمصالحها، فأعداء الأمس

---

(١) عوض بن عمر القعيطي: أحد أهم أبناء الجمعدار عمر بن عوض القعيطي، كما يعد المؤسس الفعلي للسلطنة القعيطية في حضرموت، وأول سلطان رسمي لها، توفي عام ١٩٠٨م.

(٢) محمد عبدالكريم عكاشة. المرجع السابق. ص ٦٥.

يمكن أن يتناسوا خلافاتهم إذا ما ظهر لهم عدو مشترك.

فقد كان آل بن بريك حكام الشحر، وآل كساد حكام المكلا، رغم خلافاتهم يعملون يدًا واحدة في صد الهجمات الكثيرية على ساحل حضرموت، خاصة تلك الهجمة المسندة بالتعزيزات العثمانية عام ١٨٥٦م[١]، وقد ساعد هذا التحالف على فشل الحملة الكثيرية، على أن ذلك لم يثن الكثيريين في السعي الجاد، من أجل احتلال الشحر لما تمثله من أهمية اقتصادية، وسياسية، واستراتيجية، وأدركوا أن مصير بقاء دولتهم مرتبط بحصولها على منفذ بحري يمكنها من الاتصال بالعالم الخارجي[٢]، لهذا أرسل الكثيريون حملة جديدة إلى الشحر مستفيدين من خلافات بن بريك، والكسادي، وتمكنوا من طرد علي بن ناجي بن بريك آخر حكامها، وكان ذلك عام ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٦م[٣]، وبذلك انتهت الإمارة البريكية التي حكمت نحو قرن من الزمان، في مدينة الشحر، وضواحيها[٤]، وبنهايتها تحطمت آمال أمير يافعي لا يستند في إثبات وجوده إلا على التحالف القبلي اليافعي غير الثابت، وعلى قواته الخاصة داخل أسوار مدينة الشحر، وعلى ذلك فهو لا يمتلك أي خطوط دفاع أمامية لهذا لم يصمد كثيرًا أمام الكثيريين، وترك لهم المدينة.

تحالف القوى اليافعية واستعادة الشحر:

لقد أقلقت الانتصارات الكثيرية النقيب صلاح بن محمد الكسادي حاكم المكلا، فالجيش الكثيري بما يشكله من خطورة لا يبعد عن المكلا بأكثر من خمسة وأربعين ميلاً، وبالفعل بدأت القوات الكثيرية بمناوشات على المواقع الكسادية المتقدمة بهدف السيطرة على المكلا، إلا أن هذه المناوشات لم تحقق

(١) محمد عبدالقادر بامطرف. في سبيل الحكم. ص ٢١.
(٢) محمد عبدالكريم عكاشة. المرجع السابق. ص ٧١.
(٣) سعيد عوض باوزير. معالم تاريخ الجزيرة العربية. ص ٢٧٠.
(٤) مؤسس الإمارة البريكية في الشحر، هو الأمير ناجي بن عمر بن بريك، وكان ذلك في عام ١١٦٥هـ/ ١٧٥١م.

أهدافها[١]، وعلى الرغم من الفشل الكثيري في السيطرة على المكلا، إلا أن الكسادي ظل مهددًا تهديدًا مباشرًا من قبل دولة آل عبدالله، لهذا آثر التحالف مع القعيطيين، فأرسل رسالته المشهورة لأبناء عمر القعيطي طالبًا النجدة، والمساعدة العاجلة[٢]، وذلك في الفاتح من شعبان ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٦م[٣].

على الرغم من الوجود القعيطي في حضرموت الداخل، في فترة سبقت سقوط الإمارة البريكية - كما ذكرنا - إلا أننا نلحظ أن التحرك القعيطي لم يبدأ بشكل فعال إلا بعد سقوط هذه الإمارة، وبعد أن أنهكت قوات الكسادي. وفي رأينا أن الرسالة التي بعث بها الكسادي للقعيطي، والتي عملت على ما يبدو على توحيد الصف اليافعي في وجه التوسع الكثيري، وتكمن أهميتها الكبرى في إعطاء إشارة البدء للجهد القعيطي المتدفق، والذي تكلل بإقامة السلطنة القعيطية.

لقد قوبلت رسالة الكسادي باستجابة سريعة، إذ وصل الجمعدار عوض بن عمر القعيطي، في شهر رمضان ١٢٨٣هـ/ يناير ١٨٦٧م، تلبية لنداء النقيب صلاح الكسادي[٤].

ولأن القعيطي لم يحركه الرابط القبلي اليافعي، رغم أن ذلك هو الظاهر، فقد شرع القعيطي منذ بداية وصوله في دراسة غنيمته في حالة النصر، التي أهمها سيطرته على مدينة الشحر، ولذلك كتبا اتفاقية فيما بينهما[٥]، أبسط ما يمكن أن نقوله عنها أنها رسمت خطوط الدولة القعيطية، وكتبت وصية نهاية الإمارة الكسادية، وفي ٢٤ من ذي الحجة سنة ١٢٨٣هـ / إبريل ١٨٦٧م هاجمت القوات اليافعية مدينة الشحر من الجنوب، والغرب، والشمال، ومن البحر،

(١) محمد عبدالقادر بامطرف. في سبيل الحكم. ص ٢٧.
(٢) انظر نص الرسالة في كتاب: محمد عبدالقادر بامطرف. في سبيل الحكم. ص ٣٤، وما بعدها.
(٣) محمد عبدالكريم عكاشة. المرجع السابق. ص ٧٥.
(٤) محمد عبدالقادر بامطرف. في سبيل الحكم. ص ٤١.
(٥) انظر نص الاتفاقية في المرجع نفسه، ص ٤٢، وما بعدها.

الأمر الذي سهل اقتحام الأسوار، وهزيمة آل كثير، والسيطرة على مدينة الشحر[١]، ورغم المحاولة التي بذلها غالب بن محسن الكثيري، لاستعادة الشحر، إلا أنها فشلت، وكانت المحاولة الأخيرة، إذ احتفظ القعيطيون بمدنية الشحر، حتى سقوط السلطنة القعيطية عام ١٩٦٧م.

الصراع الكسادي - القعيطي وموقف البريطانيين في عدن إزاءه:

كان الحلف اليافعي، الكسادي - القعيطي، يحمل في طياته أسباب انقسامه، فكل منهم كان يحلم بفرض سيطرته على حضرموت، وإن كانت الأحلام القعيطية أكثر واقعية، لهذا نجد أن المحاولة اليافعية المشتركة في مهاجمة الكثيريين في عقر دارهم (معركة المحايل ١٨٦٩م) لها أكثر من هدف، فالهدف المباشر والمشترك، هو القضاء على الوجود الكثيري في داخل حضرموت، أما الهدف القعيطي الخاص، فيتمثل في أن القعيطي رأى أن الهجوم على الكثيري سوف يحقق أكثر من هدف مهما كانت نتيجته، فإذا كان مكسب النصر معروفًا، فإن مكسب الهزيمة، هو تضييق الخناق على الكسادي، وتوريطه بالديون، لهذا نجد أن أكثر الخاسرين في هذه الحملة هو الكسادي، الذي بلغ دينه للقعيطي (١٦٠,٠٠٠) ريال[٢].

وفي سنة ١٢٨٨ هـ/ ١٨٧٣م توفي النقيب صلاح بن محمد الكسادي، حاكم المكلا، قبل أن يتمكن من دفع الديون التي عليه، فقدم عوض بن عمر القعيطي من الهند في صورة معز، وفاتح ابنه عمر بن صلاح في الدين[٣]، وشدد عليه، مغتنمًا فرصة وجوده في المكلا، على رأس قوة من جنده[٤]، ثم سويت

(١) سعيد عوض باوزير. معالم تاريخ الجزيرة العربية. ص ٢٢٩.
(٢) محمد عبدالكريم عكاشة. المرجع السابق. ص ٩٤.
(٣) سالم بن محمد بن حميد. تاريخ حضرموت المسمى العدة المفيدة لتواريخ قديمة وحديثة، تحقيق: عبدالله محمد الحبشي. الجزء الثاني، مكتبة الإرشاد، صنعاء. ص ٣٣٧.
(٤) سعيد عوض باوزير. صفحات من التاريخ الحضرمي. ص ٢٧٧.

هذه المسألة بين الأميرين، في اتفاقية بتاريخ ٧ سبتمبر ١٨٧٣م، عرفت باتفاقية المناصفة، التي نصت على أن يتنازل النقيب الكسادي، عن نصف مدينة المكلا، للأمير القعيطي(١)، ولكن الأمير الكسادي تراجع عن هذه الاتفاقية، فقام القعيطي بفرض حصار بحري على المكلا سنة ١٨٧٥م(٢).

وهكذا تبلورت، واستحكمت العداوة بين الجانبين، وأصبحت نقاط الاختلاف بينهما أكثر من نقاط الالتقاء، وتربص كل منهما بالآخر، فالكسادي عمل على إقامة جبهة داخلية من أطراف جمع بينهم العداء للقعيطي، أهمهما آل كثير، والعولقي، إلا أن القعيطي نجح في توجيه ضربة قاصمة، لهذا الحلف في موقعة المشراف، ومن ناحية أخرى عمل الكسادي على عرض إمارته تحت الحماية البريطانية(٣).

لقد أدت تطورات حوادث الصراع وتصاعدها، وتسارعها في حضرموت إلى دخول السلطات الاستعمارية البريطانية مباشرةً في حلبة الصراع، بهدف استغلال تلك الحوادث لبسط نفوذها في المنطقة، ولإبعاد أي تدخل في هذا النزاع من قبل أي دولة أجنبية خاصة الدولة العثمانية، التي كانت تدعي سيادتها على جنوب الجزيرة العربية(٤).

وأمام احتدام قوة الصراع بين الجانبين، أخذت الوساطة البريطانية تتأرجح في حلولها للأزمة، حتى رأت بعد مشاورات ومحاورات متعددة، أن التعامل مع أمير واحد قوي، أفضل من التعامل مع أميرين ضعيفين(٥)، وكان الأمير القوي

---

(١) انظر نص الوثيقة في كتاب: محمد عبدالقادر بامطرف. في سبيل الحكم. ص ٩٣.
(٢) أحمد محمد بن بريك. اليمن والتنافس الدولي في البحر الأحمر. رسالة ماجستير، القاهرة، ١٩٨٠م. ص ١١٧.
(٣) محمد عبدالكريم عكاشة. الصراع القبلي والتغلغل الاستعماري في حضرموت. مجلة سبأ، العدد الثالث، السنة الثالثة، إبريل ١٩٨٧م. ص ٣٩.
(٤) أحمد محمد بن بريك. المرجع السابق. ص ١١٧.
(٥) المرجع نفسه. ص ١٢١.

الذي تعاملت معه بريطانيا هو القعيطي، وقد استغل البريطانيون تهديد الكسادي بطلب الحماية التركية، وإعلان ولائه للأتراك، ليرموا بكل ثقلهم بجانب القعيطي[١]، وعملاً بهذا الموقف اتصلت السلطات البريطانية برجالها في حيدر أباد بالتحرك إلى حضرموت، عن طريق ميناء بومباي، كما اشترى القعيطيون الأسلحة من عدن بموافقة بريطانيا[٢].

ويرى الدارس أن الموقف البريطاني لم يكن انحيازًا إلى جانب القعيطي بقدر ما كان انحيازًا للمصالح البريطانية، سواء في حيدر أباد، أو في حضرموت،وإضافة إلى ذلك كانت إمكانات السيطرة على القعيطي، من قبل بريطانيا أفضل، وذلك عن طريق الضغط عليه، وممارسة سياسة لي الذراع، في أملاكه في حيدر أباد بالهند، فيما لو حاول التمرد والعصيان على السلطة البريطانية.

وأمام هذه التعبئة القعيطية، والتصميم البريطاني، في الإبقاء على أمير واحد قوي في المنطقة، وانحيازها الكامل إلى جانب القعيطي، لم يجد النقيب عمر الكسادي بدًا من تسليم نفسه إلى قبطان البارجة (دراجون)، التي أبحرت به إلى عدن، في طريقه إلى زنجبار، في نوفمبر سنة ١٨٨٤م، مفضلاً الخروج من المكلا، على قبول الحكم القعيطي، وبذلك دخلت المكلا، وملحقاتها، تحت سيطرة القعيطيين[٣]، وبمعنى آخر أصبح القعيطي بهذا النصر مسيطرًا سيطرة كاملة على سواحل حضرموت.

العلاقات الكثيرية القعيطية إلى عام ١٩١٨م:

شكل انتصار القعيطي على الكسادي، في ساحل حضرموت ضربة موجعة للدولة الكثيرية، وأضحت كل مصالحها، واتصالاتها الخارجية تحت رحمة الدولة القعيطية، ولا شك أن وراء هذا النصر القعيطي المؤازرة العسكرية

(١) جافين. المرجع السابق. ص ٣٩.
(٢) محمد عبدالكريم عكاشة. قيام السلطنة القعيطية. ص ١٢٨.
(٣) سعيد عوض باوزير. صفحات من التاريخ الحضرمي. ص ٢٣٩.

البريطانية - كما ذكرنا - وبفضل هذه المؤازرة، وتطبيقًا للمصالح الاستعمارية، سارعت السلطات البريطانية إلى تكبيل القعيطي بمعاهدة صداقة في مايو ١٨٨٢م، وبموجبها فرضت بريطانيا لنفسها الوصاية على الحكام القعيطيين، وعلى ما تحت سيطرتهم من أراض(١).

وأمام هذه التطورات الجديدة ظلت العلاقات القعيطية، الكثيرية، في حالة تربص، وقد شعر آل عبدالله بخطورة موقفهم، بعد استيلاء القعيطي على المكلا، ففكروا بالهجوم على الشحر، ولكنهم رأوا قبل إقدامهم على تلك الخطوة جس نبض السلطات الاستعمارية في هذا التحرك، فبعثوا أواخر سنة ١٨٨٣م، عبدالله بن صالح الكثيري لزيارة المقيم السياسي بعدن للتأكد من الموقف الذي ستتخذه الحكومة البريطانية في حالة هجوم آل كثير على حضرموت الساحل. وفي مارس ١٨٨٤م أمرت حكومة الهند المقيم السياسي في عدن أن يحذر الكثيريين، بأنها لن تنظر بعين الرضا، لأي هجوم على الشحر، والمكلا، بل عند الضرورة ستتدخل لمساعدة القعيطي(٢).

لقد لقي التحذير البريطاني آذانًا كثيرية صاغية، فانصرفوا مرغمين عن دق طبول الحرب، وقبعوا في حدود سلطنتهم الصغيرة، بحضرموت الداخل بعيدًا عن الساحل، مما جعل القعيطي يتحكم في تجارتهم الخارجية، وكذا رعاياهم المسافرين عبر البحر(٣).

وبازدياد المنافسة الأوربية على اقتسام أفريقيا زادت مطامع بريطانيا بعدن،

---

(١) انظر سي. يو. أيتشيسن، بي. سي. اس. مجموعة معاهدات والتزامات وسندات متعلقة بالهند والبلاد المجاورة لها (جنوب اليمن). ترجمه وتقديم: أحمد زين العيدروس، وسعيد عبد الخير النوبان. المجلد (١١)، دار الهمداني، عدن، ١٩٨٤م، ص ٢٠٥ وما بعدها.

(٢) جاد طه. سياسة بريطانيا في جنوب الجزيرة العربية. (١٧٩٨-١٩٦٣م)، دارالفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٩م، ص ٢٠٤.

(٣) محمد عبدالكريم عكاشة. قيام السلطنة القعيطية. ص ٢١٧.

وجنوب الجزيرة العربية، وذلك لقربها من ميدان الصراع الاستعماري، الأمر الذي دفع السلطات الاستعمارية، إلى الإعلان عام ١٨٨٦م، عن مخطط للسيطرة الكلية على جنوب الجزيرة العربية، عن طريق اتفاقيات الحماية[١]. وبناء على ذلك عقدت بريطانيا اتفاقية حماية مع القعيطي، في مدينة الشحر سنة ١٨٨٨م[٢]، وبموجبها تعهدت بريطانيا أن تشمل المكلا، والشحر بإحسانها، وحمايتها، وأن تمتنع الحكومة القعيطية عن الدخول في مراسلات، أو اتفاقيات، مع أي دولة بدون معرفة، وموافقة الحكومة البريطانية بذلك. وكان الكثيريون يعلقون الآمال على الدولة العثمانية التي كانت لهم بها علاقات تاريخية، كما كان بعض العلويين في الحجاز والأستانة يشجعون على ذلك[٣].

لقد كانت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م (التي دخلتها الدولة التركية إلى جانب دول المحور ضد بريطانيا، وحلفائها) فرصةً للمتنازعين في حضرموت لتأكيد ولائهما، فالقعيطي سارع إلى الإفصاح عن موقفه المؤيد للحكومة البريطانية في تلك الحرب، في حين تحرك السلطان منصور بن غالب الكثيري، ومن معه من العلويين، لصالح العثمانيين[٤]، ولكن تناقض وجهات نظر المتنازعين في حضرموت، وإعلان ولائهما لأطراف النزاع الدولية، لم يؤد إلى حدوث اقتتال كبير خاصةً من جانب الدولة الكثيرية المنكمشة في مواقع معينة من حضرموت، ونعزو ذلك ربما لشعور الكثيريين بعدم قدرة الدولة العثمانية على تقديم مساعدة عسكرية لهم تجابه المساعدة المحتملة من بريطانيا للقعيطي، فيما لو حاولوا مهاجمة القوات القعيطية، هذا الاعتقاد جعل الشعور

(١) جافين. المرجع السابق. ص ٤٦.
(٢) انظر مجموعة معاهدات والتزامات. المرجع السابق. ص ٢٠٨-٢٠٩.
(٣) محمد عبدالقادر بافقيه. شيء من تلك الأيام. صحيفة الأيام، العدد (٩٩٠)، السنة الحادية عشرة، أكتوبر ١٩٩٢م. ص ٦.
(٤) محمد سعيد داود. حركة بن عبدات في الغرفة بحضرموت، الندوة العلمية التاريخية حول المقاومة الشعبية في حضرموت. ص ٤٢.

بالخوف تجاه بريطانيا راسخًا في أذهان الحكام الكثيريين، ونحن نلحظ ذلك واضحًا في الرسالة التي بعثها السلطان الكثيري، عام ١٩١٦م إلى القائد العثماني في لحج، علي سعيد باشا، التي ذكر فيها «بأنهم (أي الكثيريين) ليس بهم جبن، ولا فشل، ولا عجز، ولا كسل، ولكنه مادام الساحل مهددًا بأسطول الإنجليز، فالحرب ليست من مصلحتنا»[١].

وفي هذه الأثناء فكرت الدولة القعيطية، في إصدار جوازات سفر للمسافرين من أهل حضرموت، وقد وافقت السلطات البريطانية بشرط اعتراف السلطنة الكثيرية، بالسيادة القعيطية في حضرموت، وتحقيقًا لذلك سعى الوزير القعيطي، حسين بن حامد المحضار، على إقناع آل كثير بأهمية المشروع، ولكنه لم ينجح في مسعاه[٢]، ونتيجة لذلك اشتدت الخصومة بين القعيطي، والكثيري، وتطورت إلى مناوشات استمرت عامًا، وهي ما تعرف بحرب (قسبل) لم يستطع خلالها رعايا آل كثير السفر إلى الخارج، وقدوم المهاجرين منهم إلى داخل حضرموت[٣]. ويرى الدارس أن هذه المناوشات، أو حرب (قسبل) ما هي إلا عبارة عن شكل مصغر لحروب القوى المتحالفة مع طرفي النزاع في الحرب العالمية الأولى لتأكيد الولاء والتضامن.

ولم تؤد حرب (قسبل) إلى نتيجة حاسمة للطرفين، فأشار الوزير حسين المحضار على السلطات البريطانية في عدن، أن تقوم بدور الوساطة لاستتباب الأمن خاصةً أن الحرب العالمية الأولى قاربت على الانتهاء، ولصالح دول الحلفاء، وفعلاً وافق المقيم السياسي البريطاني «ستيوارت» على التوسط، وطلب من الطرفين المتنازعين إيقاف القتال، وإرسال ممثلين عنهما للتفاوض

(١) راجع الوثيقة رقم (٥٦) لعام ١٩١٦م. الهيئة العامة للآثار، والمتاحف، والمخطوطات، سيئون.

(٢) محمد عبدالكريم عكاشة. قيام السلطنة القعيطية. ص٢٣٦.

(٣) صلاح البكري. في جنوب الجزيرة العربية. ص ٢٠٢.

حول اتفاق يقبله الطرفان لإنهاء النزاع[١]. وبعد أخذ و رد وافق الجانبان على الاتفاقية الموسومة باتفاقية عدن سنة ١٩١٨م[٢]، لقد كان الكثيري الطرف الأضعف، والمظلوم في الاتفاقية[٣]. وربما شعر بنوع من الامتنان تجاه بريطانيا التي لم تفعل شيئًا ضده، رغم موقفه المعلن ضدها، في أثناء الحرب العالمية الأولى، ولكن الأمر الثابت في السياسة الاستعمارية البريطانية يكمن حيث توجد مصالحها، وتتجلى تلك المصالح في الإبقاء على تجزئة مناطق الجنوب اليمني.

❁❁❁❁❁

(١) محمد عبدالكريم عكاشة. قيام السلطنة القعيطية. ص ٢٣٧.
(٢) انظر مجموعة معاهدات، والتزامات، وسندات. المرجع السابق. ص ١٩٦-١٩٧-١٩٨.
(٣) لمزيد من التفاصيل حول تحليل بنود هذه الاتفاقية، انظر الفصل الرابع من هذه الدراسة.